المحاضرة -13-

تجليات المحنة في الشعر الجزائري :

ان الشعر الجزائري المعاصر هو الزخم الذي عبر به الشاعر للتعبير عن المآسي التي عايشها وشهدها وشغلت تفكيره حيث عانى المثقف الجزائري من صراع عنيف مع الأزمة فكانت 'القصيدة السوداء ' بمثابة الأكيد على حضوره رغم الاقصاء والاضطهاد ، فنظم العديد من الشعراء قصائد أبرزت بشاعة الواقع يطبعها الحزن تارة و الثورة على الوضع تارة أخرى ، خاصة وأن المثقف والمبدع كان ينتظر رصاصة غدر في اي لحظة تسكته نهائيا . فحاول البعض منهم البحث عن متنفس لهذا المأزق الخطير الذي ألم بالمجتمع وجعل من المثقف هدفا للتصفية الفكرية والتاريخية ، كان الشاعر آنذاك يرى المشاهد الدامية فالمحنة قاسية وجراحها عميقة وآلة الموت الهمجية طالت كل من رفض الخضوع فوجدنا مجموعة من الشعراء كتبوا شعرا نقل صور المأساة التي تأذّت منها كل شرائح الشعب الجزائري . فكان الشعر نوع من العطاء الفني والتمرد على الواقع المرير والبوح بمعاناة الشاعر وكنتيجة حتمية لكل تلك الوقائع المأساوية والأحداث القاسية كان الخطاب الشعري خطاب أزمة يدور حول معاناة وتشتت وتمزيق الوطن وضياعه والموت الأليم الذي يحيط بكل أفراد الشعب في كل لحظة . ولذا أصبح نظم الشعر في العشرية السوداء محاولة لتجاوز المألوف وتحولا مستمرا للبحث عن بريق أمل للخلاص من هذه المحنة والتشبث بالأمل عسى أن يأتي الفرج ويعود الأمن ليستتب في الوطن الجريح من جديد .

. ـ انعكس الاحباط السياسي على نفسية الشاعر الذي كان يبحث عن الأمن والاستقرار فعبر شعره بصدق عن الوضع المتأزم و والنقمة على الوضع الراهن وقتها .

تجليات مظاهر الأزمة في الشعر الجزائري المعاصر :

تجلت مظاهر الأزمة في الشعر آنذاك وحاول الشاعر أن يجد سبب المحنة وكان يبحث عن تبرير واقعها بين التفسير السياسي والاجتماعي والديني و الثقافي والاقتصادي ، فيحاول تحليل هذه المأساة ويعبر بصدق عن عوالم الواقع وكان صوت الشاعر سلاحا يدافع به عن ضحايا هذا الوضع فكانت القصيدة مشروع مقاومة يحمل خطابا ذا طابع فتي جمالي يكشف خفايا المأساة .

كانت صور الابداع الشعري تملأها رائحة الموت التي تنوعت طرائقه ونجد في القصائد مشاهد شعرية شخصت عمق الأزمة الجزائرية وهي مشاهد متنوعة نحاول التعرف عليها :

المشهد الأول- صورة الجزائر في زمن المحنة :

كان الوضع في الجزائر متأزما وكان معلوما للجميع رغم التعتيم فصورة الوحشية والاجرا م فاق كل تصور رافقه الحزن والخوف والترقب الذي عاشه الجزائري ، وهنا نجد الشاعر (أحمد شنة) مثلا يصف زمن المحنة وما آلت اليه الجزائر من مآسي و أفعال وحشية تمارس يوميا على المواطن الأعزل العالق في براثن الموت فوجدنا الشاعر يلعن الشتات والدمارالذي أصاب الشعب الشهيد طالب منه التمرد على واقعه والتطلع الى أمل الخلاص من هذه المحنة يقول هذه الأبيات من ديوانه الشعري ' طواحين العبث'

' تكلم بما تستطيع أمام المدينة مات الربيع

وذابت رموش الصبايا ، ونامت عيون المطر

فلاتحك بعدي لهذا الصقيع أساطير شعب جريح

ولا تنتظر ن يعود الينا القمر '

يشير الشاعر (فاتح علاق) الى تمزق البلاد الى فصائل متناحرة على مناصب سياسية يعتدى من خلالها يوميا على مصالح المواطن البائس المظلوم في وطنه الفار من الموت الذي يلاحقه يقول في قصيدته:' من ديوانه الشعري ' آيات من كتاب السهو':

' هذا الزمن نعل من كان يؤمن بالهوى قد ظل

من كان يعبد عقله فالعفل ظل أوكان يعبد صمته فالصمت تل

قتل الفتى ما أكفره'

نجد الشاعر في هذا المقطع الشعري يلعن هذا الزمن الذي أصبح نعلافي نظره اذ تغيرت فيه كل القيم وماتتجل الضمائر وأصح الموت والخراب والدمار يحاصر الشعب وأشاع كل هذا سماسرة الموت لم يستوعب عقله عمق الفاجعة في ظل غياب العقل لتصبح كل الأشياء كفرا في نظر الشاعر فيحطم جدار الصمت الذي لف الجميع

المشهد الثاني - صور استهداف الطفولة البريئة :

سجلت العشرية السوداء الجرائم الفظيعة الت استباحت براءة الأطفال فقد شهدت تلك الفترة مآسي الذبح للرضع وبقر بطون الأمهات بهمجية وبشاعة ، يجسد هذه الصورة المرعبة ا لشاعر(عز الدين ميهوبي) في قصيدة من ديوان 'كاليغولا يرسم غرنيكا رايس ' يقول:

' ذبحوا الأجنة في البطون خانوا النساء

سرقوا من الشمس الضياء خطفوا الصفاء من العيون

زرعوا الدمار لافرق بين دم ودماء

هم يقتلون وليس يثنيهم..... أحد'

يقدم الشاعر (احمد الطيب معاش) خطابا شعريا يصور الاجرام الذي استهدف براءة الطفولة في غفلة من التاريخ والزمن وثق مهد حياتي ضاج بالاسئلة والحسرة والحيرة الذي اثاره هذا الجرم الممارسرعلى هؤلاء البراعم من طرف المعتدي الذي تفنن في اساليب الغدر بالحياة والتباهي بالصراع واندثار القيم الحياتية الدالة على مكونات الخطاب الانساني المملوءة بالموت لكل زهور الحياة يقول في مقطع من ديوانه الشعري 'دواوين الزمن الحزين '

' هل سمعت قبل هذا من غشوم متجاسر يحصد البرعم في حقل الأزاهر

هل سمعتم عن عدو ملحد كافر يقتل الأطفال في عبد بساحات المقابر '

المشهد الثالث - مشاهد تصور استهداف النساء:

يشير الشاعر(صلاح الدين باوية) من خلال قصيدة'آخر مرثية للوطن ' الى الحالة التي آلت اليها المرأة الجزائرية التي أصبحت مستهدفة من قبل سماسرة الموت والفناء والأمر من ذالك أصبحت رقما في زمن الموت و الذي يقول:

' صعب علي أن أقول جملة مفيدة في زمن اللاحب و المكيدة

فكم زجرت سادتي عواطفي الشخصية فما كتبت لحظة

ماعشت عن حورية عن العيون الزرق والظفائر السحرية '

كما نجد الشاعر (عز الدين ميهوبي) يسعى جاهدا الى تصوير عمق المصاب الذي مس المرأة في كل جوانب حياتها قصيدة من ديوان' كاليغولا يرسم غرنيكا رايس ' يقول :

' مر عام ولم تلبس الفتيات فساتينهن ولم تتجمل حليمة بالكحل

ولم تر شكل القمر نسيت لغة الطير

.... طعم الخرافة و العاشق المنتظر

يواصل الشاعر وصف المشهد الدموي للمرأة الحزينة الفاقدة لكرامتها يقول:

هنا امرأتان أخرى تحل ضفيرتها لتعيد صياغة ضوء النهار

أبصرت في المرايا دما ... والبقية كانت هنا

امرأة خبأت في ضفيرته وطنا من غبار '

بقيت حال المرأة مريرة و ملغمة بالمنية الذي تلاحق المرأة في كل مكان في جومشحون بالحقد على المرأة : الأم/الأخت / البنت ، فكانت صورة المرأة الشهيدة تحتل صفحات الجرائد كل يوم .

المشهد الرابع - واقع الثقافة واستهداف المثقف :

أضرت الأزمة بالثقافة وهمشتها كما أضرت بالمثقف و المبدع حيث ساهمت في تعطيل جميع الفنون وصور الشاعر (محمد الصالح باوية) مشهد الثقافة الحزين يقول:

'أيها الآتي الينا مرهقا يطوي المسافة

حبا وورود ا وعلوما وحضارة

لبلادي واكتشافه نحن هيأنا الضيافة

كل شيء في بلادي ممكن إلا الثقافة'

كما وصف الشاعر (الشاعر أحمد شنة) واقع الشعر الأليم من ديوان 'طواحين العبث' يقول:

' تكلم ...فما عاد للحب أي اعتبار قتلنا جريا بحب الفرزدق،

وجئنا لليلى بأحشاء قيس وبعنا زمال عكاظ ،

وبعنا الأغاني وبعنا القصائد ولم يبق إلا الشعار'

ان استهداف الثقافة ورموزها سبب هجرة الكثير من المثقفين بعد اغدر بالعديد من الفنانين و الصحفيين والمبدعين أمثال 'عبد القادر علولة 'و عز الدين مجوبي ' و بختي بن عودة ..... وغيرهم .

يقول الشاعر (ادريس بو ديبة) في ي قصيدة بعنوان 'الى عصفور وهران بختي بن عودة ' :

' قتيلا في امتداد النورس المطعون في عنف أعراس المعاني

حين واراه التراب كان يجهش بتعاويذ الطيور

يذرف أيقونة الدم النبوي يرقص الشرق في قلبه

وفي عينيه يلمع شلال المحيطات البهيجة رجفة من صراخ المغنى القديم

اعترت روحة كالعويل فمد يدا ليفك النشاز

عند اقتراب المساء تسلق قافية من رميم الجسد

تسلقها رشفة من دمه تسلقها سدرة المنتهى غابة الأبنوس

معراج الشرارات البهية ،تسلقها ودعها ثم مات '

قتل الكثير من الصحفيين أمثال 'خديجة دحماتي ' و اسماعبل يفصح ' كتب الشاعر (أحمد الطيب معاش) في رثائهم قصيدة من 'ديوان' دواوين الزمن الحزين" يقول:

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلت لقاتل متعمد؟

با لأمس (دحماني خديجة) أعدمت غدرا، بأيدي الظلم دون سؤال

وبالأمس أيضا غادرت أخت لها ملفوفة ببراءة الأطفال

فمضت (مليكة) مثل مت لحقت بها دون الوداع لجيرة أو آل

واليوم (مقران) مثل من لحقت ويغيب عنا تاركا لعيال

الى أن يقول:

ماذا جنى قلم و صوت صادق حتى يزال بطلقة ونصال

ماذا جنت بنت تجندل غيلة من أجل قيل ظالم أو قال '

المشهد الخامس - تصوير مشهد الجانب السياسي للأزمة :

شخص الشاعر (صلاح الدين با وية) جوانب المأساة السياسية حين قال:

' وما كتبت لحظة

عن وجع الرعية

عن سيدي السلطان

والمملكة المحضية

عن جنده واغرف السرية

أخاف ان عبرت

بالشعر مواجدي

تغتالني قصائدي

فكل ما في وطني يصادر الحرية'

ويقول الشاعر (أحمد شنة) واصفا المشهد السياسي العام :

' تكلم ولا تلعن البرلمان

ولا تدعي... أن أحزابنا زوجة ناشزة

ولا تدعي ...أن حكامنا جائرون ،

؟أن الجزائر تمضي الى سؤدد

حارفيه الزمان

ولا تدعي أننا ...أمة عاجزة

فنحن بحمد الاله نعيش التعدد في كل شيء '

فالشاعر حلل الأزمة السياسية وحاول بأسلوب التهكم والسخرية عرض هذا الوضع المتردي خاصة التعدد السياسي حيث وصل عدد أحزاب في زمن الأزمة الى ثمانين حزبا وعلى كثرتهم ازداد الوضع تدهورا وانقساما بين فئات الشعب و يمكن القول أن الأزمة السياسية التي عاشتها البلاد كادت تعصف بالوطن

ينظر: مقالة عامر رضا –مجلة الحقيقة جامعة أدرار

الهدف العام من المحاضرة

الاطلاع على شعر المحنة

. معرفة مضامين شعر المحنة

المراجع :

ـتجليات أدب المحنة في الشعر الجزائري المعاصر عامر رضا مجلة الحقيقة جامعة أدرار العدد27 أدب المحنة كتاب جماعي منشورات جامعة الوادي

- ديوان طواحين العبث - أحمد شنة

ـ ديوان كاليغولا يرسم غرنيكا رايس - عز الدين ميهوبي

ـ ديوان دواوين الزمن الحزين - أحمد الطيب معاش

انشطة التقويم

اسئلة عن الأفكار العامة للمحاضرة

كتابة مقال حول شعر المحنة